

المحاضرة العاشرة

نماذج تطبيقية

للحديث الموضوعي

المبحث الأول: نماذج للدراسة الموضوعية الاستقصائية
للحديث النبوي

المبحث الثاني: نماذج للدراسة الموضوعية المحدودة للحديث
النبوي

لا يمكن فهم التفسير الموضوعي ولا الحديث الموضوعي إلا بالاطلاع على نماذج تطبيقية لهما، ودائما ما نضرب أمثلة لنماذج تطبيقية للتفسير والحديث الموضوعيان من عمل علماء الجزائر مثل عبد الحميد بن باديس، هذا الرجل الذي كان سباقا في التفسير الموضوعي، حيث ألقى كلمة في أحد تجمعات جمعية العلماء الجزائريين فقام محمد البشير الإبراهيمي بتدوين هذه الكلمة ونشرها بعنوان "العرب في القرآن"¹، وهذا العمل نموذج فذ توصل إليه ابن باديس بعدما قام بتفسير القرآن تفسيرا تحليليا على مدى عدة سنوات، وكانت بعض المواضيع والقضايا تثير انتباهه لما لها من حضور في عقل الجزائريين الخاضعين للاستعمار الذي عمل جاهدا للانقاص من قيمة العرب والمسلمين بشتى الوسائل فرد عليه ابن باديس بمثل هذه الدراسات الفذة.

ذلك في التفسير الموضوعي، أما في الحديث الموضوعي فإننا نجد ابن باديس عند شرحه الحديثي لمجموعة من الأحاديث النبوية والتي جمعت في كتاب "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"²، قام باستخدام وتطبيق المنهج الموضوعي في الحديث، وبرز ذلك عندما عرض لقضايا منها مثلا: "العلم وفضله وتعلمه وتعليمه واحترام أهله"³، وموضوع: "الذكر والترغيب فيه والحث على تعلم القرآن"⁴، وموضوع: "الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم"⁵، فهذه نماذج تطبيقية للمنهج ظهرت في عهد غير بعيد عنا إجابة لقضايا ومساائل كانت تشغل العقل الجزائري في ذلك الوقت خاصة منها أهمية العلم في مواجهة الجهل الذي عملت فرنسا على نشره بين الجزائريين، ومسألة الذكر الذي تحول إلى طقوس غريبة على يد بعض الطرق الصوفية، وانتهاء بمسألة التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ثم التوسل بالصالحين من المسلمين.

وفي هذه المحاضرة سنحاول التعرض لبعض النماذج التطبيقية للمنهج الموضوعي في الحديث النبوي من خلا استعراض بعض الأعمال الأكاديمية المعاصرة وغيرها من الدراسات والبحوث.

المبحث الأول: نماذج للدراسة الموضوعية الاستقصائية للحديث النبوي

يضرب رمضان إسحاق الزيان أمثلة تطبيقية لهذا النوع من الحديث الموضوعي، منها الدراسة المعنونة بـ: "أحاديث قراءة سورة الكهف يوم الجمعة - جمع ودراسة -" للزيان نفسه، قام البحث فيها باستقصاء الأحاديث الواردة في فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، ثم توصل إلى أن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من السنن الواردة عن الرسول عليه الصلاة والسلام بخلاف الروايات الواردة في سور أخرى مثل آل عمران والرعء فإنها لا ترتقي إلى مستوى الاحتجاج بها⁶، فهذا نموذج للدراسات العلمية الأكاديمية التي اعتمدت المنهج الموضوعي وحاولت دراسة مسألة تتعلق بفضائل السور القرآنية، لكنها دراسة لم تخرج عن الدراسات القديمة التقليدية التي تهتم بمسائل فقهية وقرآنية أو حديثية تكلم العلماء فيها قديما وقتلوها بحثا ودراسة.

¹ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ت: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، الجزائر، ط1: 1430هـ-2009م، ص396-418.

² عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط: 1403هـ-1983م.

³ المرجع نفسه، ص187-194.

⁴ المرجع نفسه، ص200-205.

⁵ المرجع نفسه، ص217-249.

⁶ رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص229.

أما النموذج الثاني الذي يحتفي به الزيان فهو: "عناية الكتاب والسنة بالبيئة -دراسة موضوعية-"
لأمل توفيق أبو عبدو، وهذا النموذج رغم استخدامه للمنهج الموضوعي إلا أنه جمع بين التفسير
والحديث ولم يحدد مصادر حديثة معينة لبحثه، وهذا العمل يستجيب لمتطلبات المنهج الموضوعي
في الحديث، خاصة وأنه يبحث قضية معاصرة تشغل الرأي العام العالمي، حيث أن العالم يعاني من
التلوث والفساد في البر والبحر، وهذه الدراسة تثبت سبق الإسلام في الحفاظ على البيئة وحل
مشكلات التلوث البيئي¹.

ومن بين الدراسات التي قدمها الزيان كنموذج للحديث الموضوعي دراسة بعنوان: "أحاديث
الشهادة والشهيد -جمع وتصنيف وتخريج ودراسة لما يتعلق بالشهيد"² لزار عبد القادر ريان، قام فيها
الباحث بجمع الأحاديث الواردة في الشهادة والشهيد، وفضل الشهيد وأجره وأحكام الشهيد، وآثار
الشهادة، هذه القضية من الأهمية بمكان في عصرنا خاصة بالنسبة للمسلمين الذين مازالوا يواجهون
الاستعمار والاحتلال والتهجير من ديارهم سواء في فلسطين أو أفغانستان أو غيرها من البلاد العربية
والإسلامية.

وبالنسبة لخالد محمود الشрман فإنه يقدم نماذج لتطبيق المنهج الموضوعي تحت مسمى
المنهج المتكامل (الكلي) للحديث الموضوعي، هنا يأتي بدراسة حول "العلم وأهله في الحديث النبوي"
لمحمد بن سعيد محسن، حاولت هذه الدراسة الإجابة عن أسئلة عديدة من أهمها ما هو سبب تأخر
المسلمين علمياً؟ هل هو الدين والمسلمون أم غيرهم؟ أم الاستعمار؟ وقدمت طرحاً آخر فربما الواقع
غير ذلك والمسلمون بخير ومستواهم العلمي جيد؟ وقد عالج صاحب البحث الموضوع بطريقة جيدة
حيث ذكر أمثلة من الحديث الشريف والواقع المعيشي للمسلمين وحاول تقديم إجابات مقنعة لما
يعانيه المسلمون³.

ومن الدراسات التي لاقت إشادة من الشрман دراسة حول "بيت المقدس في الحديث الشريف"
لسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي، حاول صاحبها بيان أهمية المسجد الأقصى الدينية عند
المسلمين، وأهميته الاستراتيجية والجغرافية لفلسطين⁴، وقضية فلسطين والمسجد الأقصى من
القضايا المعاصرة التي تحتاج اهتماماً كبيراً لعظم التشويه الإعلامي والعلمي التاريخي الذي يقوم به العدو
الصهيوني، الذي لم يجد ولا فرصة إلا واستغلها لتشويه صورة المسلمين، وتشويه التاريخ، والزعم
بأحقية اليهود في فلسطين.

يقدم حمزة المليباري دراسات تطبيقية للحديث الموضوعي حاول من خلالها عرض الكثير من
المواضيع منها: أحاديث العلم والتعليم والتربية، ثم يستعرض بعض الأحاديث في العلم ليأتي في الأخير
ويتحدث عن حديث: "من يرد به الله خيراً يفقهه في الدين" وشرحه الموضوعي، وهكذا مع كثير من
النماذج التطبيقية إلى أن يصل إلى "أحاديث الاستشراف والتخطيط المستقبلي"، و"أحاديث السنن
الإلهية"، و"أحاديث التكافل الاجتماعي"، والقيقة تقال أن هذه النماذج نماذج تعليمية للطلبة المقبلين
على مثل هذه الدراسات الحديثة، ولا يصلح فيها جمع الأحاديث ثم التعرض لحديث واحد فقط مثل

¹ رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص 229.

² رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص 230.

³ خالد محمود الشрман، المرجع السابق، ص 196-197.

⁴ المرجع نفسه، ص 197-198.

حديث "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، وهكذا فبعض الدراسات تقليدي قد استوفاه السابقون بحثا ودراسة، وبعضها حديث يحتاج إلى البحث والدراسة الموضوعية مثل قضية التخطيط المستقبلي والسنن الإلهية والتكافل الاجتماعي، وقد أبداع حمزة المليباري في بحثها ولو من ناحية جدة الطرح والاهتمام بمثل هذه المواضيع¹.

المبحث الثاني: نماذج للدراسة الموضوعية المحدودة للحديث النبوي

بالنسبة لهذا النوع من الحديث فإن الزيان يضرب أمثلة منها دراسته التي قدمها في مرحلة الماجستير والتي كانت بعنوان: "الطب النفسي في ضوء السنة النبوية"، جمع فيها الباحث الأحاديث التي تتعلق بعلاج الأمراض النفسية واقتصر في بحثه على الكتب التسعة فقط، وقد توصل البحث إلى خصوصية العلاج والإرشاد النبوي في مثل هذه الحالات المرضية النفسية كونها إلهية المصدر وتطبيقها عند المسلمين أعطى أحسن النتائج².

ومن الدراسات كذلك "المعالم المدنية في العهد النبوي -دراسة موضوعية تحليلية في ضوء السنة النبوية" لذكريا صبحي زين الدين، عرض فيها لمعالم الحياة المدنية في العهد النبوي من خلال الكتب التسعة، حيث تناول الجوانب الإدارية والعسكرية والصحية الصناعية والتجارية في العهد النبوي، كما تعرض للملبوسات والعمران، وتخطيط الطرق ووسائل النقل، والبيوت والأثاث، وتوصل إلى أن المسلمين وصلوا في العهد النبوي إلى أرقى صور الحياة المدنية بشرط عدم مخالفتها للشريعة الإسلامية³.

ودراسات عديدة أخرى منها: "الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية" لهشام محمود زقوت، اقتصر فيها الباحث على أحاديث الكتب التسعة، "مستقبل الإسلام -دراسة تحليلية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة" اقتصر فيها الباحث على أحاديث الكتب الستة، ودراسة بعنوان: "عناية الإسلام بصحة الإنسان" لإسماعيل سعيد رضوان، اقتصر الباحث فيها على الأحاديث الواردة في الكتب التسعة كذلك⁴.

أما خالد محمود الشрман فيمثل للنماذج التطبيقية لهذا النوع بدراسة تحت عنوان: "الإيمان والعمران دراسة في علاقة الإيمان بالتنمية البشرية كما يصورها الحديث النبوي الشريف" لحسام أحمد قاسم، حاول الباحث في هذه الدراسة تقديم التصور النبوي حول العلاقة بين الإيمان والعمران، وكيف يساهم الإيمان في التنمية البشرية، وهذا البحث اقتصر فيه صاحبه على الأحاديث الواردة في مسند أحمد بن حنبل⁵.

وهكذا فالدراسات الموضوعية في الحديث النبوي المحدودة المصادر هي الغالب على الدراسات الأكاديمية الجامعية، وذلك لارتباطها وخضوعها لفترة زمنية محددة تقتضيها الدراسات الجامعية.

¹ ينظر: حمزة عبد الله المليباري، مرجع سابق.

² ينظر: رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص 231.

³ ينظر: رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص 231-232.

⁴ ينظر: رمضان إسحاق الزيان، مرجع سابق، ص 232.

⁵ ينظر: خالد محمود الشрман، المرجع السابق، 202-203.

خاتمة

التفسير والحديث الموضوعيان ما هما إلا استخدام للمنهج الموضوعي في التفسير والشرح الحديثي، وهما منهجان قديمان تطبيقا، جديدان تنظيرا، فالتطبيق والعمل بالمنهج الموضوعي قديم عند المسلمين، بل إن القرآن يحث على النظر والاعتبار في الآيات القرآنية ومحاولة تفسير القرآن بالقرآن، والرسول عليه الصلاة والسلام فسر القرآن بالقرآن.

فالنظر الموضوعي منهج قرآني وتوجيه نبوي، وقد استخدم هذا المنهج معظم العلماء المسلمين حيث نجد المحدثين قد جمعوا الأحاديث في كتب وأبواب بطريقة منهجية موضوعية، وكذا الفقهاء الذي كانوا سابقين لتقسيم كتب الفقه إلى كتب وأبواب بطريقة منهجية موضوعية، أما المفسرين فالمنهج الموضوعي لا يظهر في موسوعاتهم التفسيرية بل يظهر في موسوعاتهم التاريخية خاصة عندما يدرسون قصص الأنبياء وتاريخهم.

وإذا كان التفسير الموضوعي قد تنوع وانقسم إلى ثلاثة أنواع هي: التفسير الموضوعي التجميعي الخاص بالموضوعات القرآنية، والتفسير الموضوعي الكشفي الخاص بالسور القرآنية، والتفسير الموضوعي للمصطلح القرآني مع ما حول هذا النوع من خلاف بين المنظرين، فإن الحديث الموضوعي قد استقر على نوعين هما الدراسة الموضوعية الاستقصائية للحديث النبوي، والدراسة الموضوعية المحدودة للحديث النبوي، وهذان النوعان لا يختلفان إلا من حيث نوع المصادر الحديثية المعتمدة في البحث بين كتب الحديث جميعا أو نوع معين منها مثل الصحيحين أو الكتب الستة أو الكتب التسعة.

قدم الباحثون في التفسير الموضوعي تطبيقات عديدة منها مثلا "العرب في القرآن" لعبد الحميد بن باديس، و"اليهود في القرآن" لعزت دروزة، و"الصبر في القرآن" ليوسف القرضاوي، و"الأتباع والمتبوعون في القرآن" لصلاح عبد الفتاح الخالدي، و"كشوفات جديدة في إعجاز القرآن الكريم" تخص التفسير الموضوعي للسور القرآنية لعادل عبد الله القلقيلي، و"موسوعة التفسير الموضوعي" لمصطفى مسلم ومجموعة من الباحثين.

أما الحديث الموضوعي فالتنظير له جاء متأخرا جدا، لكن التطبيقات كانت عديدة ومتنوعة بدأت على شكل دراسات في الكتاب والسنة ثم استقلت واختصت بالسنة النبوية، ومنها ما مستوعب حاول استقصاء السنة النبوية مثل: "عناية الكتاب والسنة بالبيئة -دراسة موضوعية" لأمل توفيق أبو عبدو، "بيت المقدس في الحديث الشريف" لسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي.

لأما الدراسات الموضوعية المحدودة غير المستوعبة لجميع كتب الحديث فمن الدراسات التطبيقية لها نذكر مثلا: "الطب النفسي في ضوء السنة النبوية" لرمضان إسحاق الزيان، و:"الإيمان والعمران دراسة في علاقة الإيمان بالتنمية البشرية كما يصورها الحديث النبوي الشريف" لحسام أحمد قاسم، وغيرها من الدراسات.